موضوع الخطبة: التَّقوى

الحمدُ للهِ الَّذي أمرَ عبادَهُ بالتَّقوى، وجعلها سببًا للنَّجاة يومَ اللِّقاء، وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الكبيرُ المتعالُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وأصحابِهِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

موضوعُ خطبتنا اليوم أيُّها الأحبَّة هو التَّقوى، تلك الوصيَّة العظيمة التي أوصى اللهُ بها جميعَ الأمم، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ (النِّساء: 131). وكانَ رسولُ اللهِ (ﷺ) يُوصِي أصحابَهُ بالتقوَى فيقولُ: "عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ" (ابن ماجه: 42) فالتقوَى درجةٌ مِنْ أعْلَى درجاتِ الإيمانِ، وكلمةٌ عظيمةٌ جمعَتْ وُجوهَ الخيرِ والإحسانِ، وهيَ شعورٌ في القلبِ يحملُ المرءَ علَى اتقاءِ مَا يخافُ ويحذرُ، وتقوَى اللهِ هيَ أنْ تجعلَ بينَكَ وبيْنَ غضبِهِ وسخطِهِ وعقابِهِ وقايةً، ولَنْ ننالَ هذهِ الوقايةَ إلاَّ بامتثالِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيهِ، فقَدْ سُئلَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ عَنْ تقوَى اللهِ فقالَ: التقوَى أنْ يُطاعَ اللهُ فلاَ يُعصَى، وأنْ يُذكَرَ فلاَ يُنْسَى، وأنْ يُشْكَرَ فلاَ يُكْفَرُ (مصنف ابن أبي شيبة 163/8 بنحوه).

وقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): "التَّقوى هي الخوفُ من الجليل، والعملُ بالتَّنزيل، والقناعةُ بالقليل، والاستعدادُ ليومِ الرَّحيل".
إذن فهي ليست مجرَّد كلمة تُقال، بل هي منهج حياة يرافق المسلم في كلِّ صغيرة وكبيرة.

آثار التَّقوى

أيُّها الكرام، للتَّقوى ثمارٌ عظيمة في الدنيا والآخرة، نذكر منها:

- التقوى سببٌ للنجاة يوم القيامة، فهي المؤنِسُ في القبور، والمنجِي يومَ البعث والنشور.
- إنَّ التقوَى إذَا استقرَّتْ في القلوبِ ظهرَتْ في الأقوالِ والأعمالِ، وأثْمَرَتْ فضائلَ كثيرةً، وفوائدَ جليلةً، منْهَا: أنَّ اللهَ تعالَى يُيَسِّرُ للعبدِ بالتقوَى كُلَّ أمْرٍ تعسَّرَ عليهِ، قَالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾ (الطلاق :4)
- ومنْهَا أنَّ اللهَ سبحانَهُ يُفرِّجُ عنهُ الكروبَ ويُوجِدُ لهُ مخرجاً عندَ نُزولِ الخُطوبِ، ويفتحُ لهُ سبُلَ الرزقِ وأسبابَهُ، قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطَّلاق: 2-3).
- فالتقوَى سببٌ لحصولِ الخيرِ، وحلولِ البركةِ، قالَ تعالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ (الأعراف: 96).
- التقوى هي خير لباس وزاد، قال تعالى: ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ (الأعراف: 26).﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: 197).

وصايا النبي (ﷺ) في التَّقوى:

من الأحاديث الجامعة في هذا الباب حديث النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: "اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتبع السَّيِّئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِق الناس بخُلُقٍ حسن" (رواه الترمذي وقال حسن صحيح).
وهذا الحديث يُوضِّح لنا أنَّ التقوى مطلوبة في كل الأحوال: في السر والعلَن، في الرخاء والشدة، في الخلوة والجلوة.
ومِنْ طُرقِ تحصيلِ التقوَى الورعُ وتركُ الشبهاتِ، فبسبَبِ مُغرياتِ الحياةِ قَدْ يَستهينُ البعضُ بالشبهاتِ، فلاَ يبقَى بينَهُ وبيْنَ الوقوعِ في الحرامِ حاجزٌ فيقعَ فيهِ، ولذلكَ قالَ (ﷺ): "لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ حَذَراً لِمَا بِهِ الْبَأْسُ" (الترمذي: 2451).
وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ إِنِّي أسألُكَ الهُدى والتُّقى والعفافَ والغِنى" (رواه مسلم).
إذن، أحبتي، التَّقوى ليست خيارًا ثانويًّا، بل هي أساس الفلاح في الدنيا والآخرة. فمن أراد رضا الله، وحُسنَ الخاتمة، وسعة الرزق، وحفظَ الأهل والذرية، فعليه أن يعتصم بالتقوى.
قال الله (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ (الذاريات: 15-16)

نسأل الله أن يجعلنا وإيَّاكم من المتَّقين